السنة الثمانون بعد المئة

فيها هاجت الفتنةُ في الشام بين القيسيةِ واليمانية وتفاقم أمرُها، فعظُم ذلك على هارون، فخاف من انتقاضِ الحبل، فقال لجعفرِ بن يحيى: إمَّا أن تخرجَ أنت أو أنا[1]، فقال: بل أنا يا أميرَ المؤمنين. فتوجَّه إلى الشام بالجنود و القوَّاد، فأطفأ النَّائرة، وسكَّن الفتنة، وأحسن إليهم، فاتَّفقوا، وصَلَحت الأحوال واستقامت الأمور. فعاد جعفرٌ إلى العراق، وولَّى على البلقاءِ صالحَ بن سليمانَ[2] بن عليّ، واستخلف على الشام عيسى بنَ العَكِّي، فلمَّا عاد إلى بغدادَ ارتفعت منزلتُه عند هارون، وقال منصورٌ النَّمَري: [من الطويل]

لقد أُوقِدت بالشام نيرانُ فتنةٍ ... فهذا أوانُ الشأم تُخمَدُ نارُها
إذا جاش موجُ البحرِ من آل بَرْمَكٍ ... عليها خبت شُهبانُها[3] وشَرارها
رماها أميرُ المؤمنين بجعفرٍ ... وفيه تلاقى صَدْعُها وانجبارها
رماها بميمون النَّقيبة ماجدٍ ... تراضى به قَحطانُها ونِزارها
لقد نشأت بالشام منه سحابةٌ ... يؤمَّل جَدواها ويُخشى دَمارها
فإنْ[4] سالموا كانت سحابة نائلٍ ... وغيثٍ وإلَّا فالدماءُ قطارها
إذا ما ابنُ يحيى جعفرٌ قَصَدَت له ... مُلِمَّاتُ خطبٍ لم تَرُعْه كبارها
غدا بنجوم السَّعد مَن حلَّ رحلُه ... إليك وعزَّت عُصْبةٌ أنت جارها

من أبيات.

وفيها قدم هارون سُور المَوصل لئلَّا يغلبَ عليها الخوارج، وكان قد خرج منهم جماعة.

وفيها كانت بمصرَ والإسكندرية زلازلُ عظيمة، ووقع رأس مَنارة سَكندريةَ في البحر.

---

(١) في (خ): وأنا، والتصويب من المصادر.

(٢) في (خ): يحيى بن صالح بن سليمان.. وهو خطأ. انظر تاريخ الطبري ٨/ ٢٦٣، والمنتظم ٩/ ٤٦.

(٣) في (خ) شبباتها، والمثبت من الديوان ص٩٢، وتاريخ الطبري ٨/ ٢٦٢، والبداية والنهاية ١٣/ ٦٠٣.

(٤) في (خ): قد، والمثبت من المصادر.

وفيها ولَّى هارونُ جعفرَ بن يحيى خراسان وسِجِسْتان، فولَّى عليها جعفرٌ محمَّد[١] ابن الحسن بن قَحْطَبة، ثم عزل جعفراً عنها وولَّى عليها عيسى بنَ جعفر، فكانت ولاية جعفرِ بن يحيى عليها عشرين ليلة.

وفيها توفِّي

حسانُ بن سِنان

ابن أبي أَوفى[٢] بن عوف، أبو العلاء التَّنوخي.

ولد سنة ستِّين من الهجرة، وكان يكتب بالأَقلام المختلفة، واستكتبه السفَّاح، فكان يَحُلُّ التراجم التي تَرِد عليه. ورأى جماعةً من الصحابة، ودعا له أنسُ بن مالك، فخرج من أولاده الفقهاءُ والقضاة والرؤساء والصُّلحاء والكتَّاب والزهَّاد. وعاش مئةً وعشرين سنة.

سَلمةُ بن صالح

أبو إسحاقَ الجُعفيُّ الكوفي القاضي، ويُعرف بالأحمر.

ولَّاه هارون قضاءَ واسط، فقدم إليه هُشيمُ[٣] بن بشير المحدِّثُ ومعه خصم له، فتعدَّى هُشيمٌ على الخصم ولَطَمه، فقال سلمة: ياهُشيم أَتظلم خصمَك في مجلس الحكم؟! ثم ضرب هُشيماً[٣] عشر دِرَر، فعزَّ ذلك على مشيخة واسط، فحجُّوا ولقُوا هارونَ في الطَّواف، وقالوا: لسنا نطعُن في سلمة، إلاَّ أنه ضرب شيخنا بالدِّرَّة، وسألوه عزلَه عنهم، فعزله، فقدم بغدادَ فأَقام بها حتى مات.

وقال المعافَى بن زكريا: لمَّا عُزل شريك عن القضاء، ركب يوماً ببغداد، فتعلَّق به رجلٌ فقال: يا أبا عبدِ الله، لي عندك ثلاثُ مئةِ درهم، قال: من أين؟ قال: ثمنُ هذا

---

(١) في (خ): جعفر بن محمّد، وهو خطأ.

(٢) في تاريخ بغداد ٩/ ١٧١، والمنتظم ٩/ ٤٩: ابن أوفى، وفي البداية والنهاية ١٠/ ١٧٥ (مكتبة المعارف): حسان بن أبي سنان بن أبي أوفى..

(٣) في (خ): هشام، في المواضع الثلاثة، والمثبت من المصادر، انظر تاريخ بغداد ١٠/ ١٨٩، والمنتظم ٩/ ٥٠، وتاريخ الإسلام ٤/ ٨٥٨.

البغلِ الذي تحتك. ومشى معه إلى الجسر وعنده الأَعوان، فالتفت شريكٌ إليهم فقال: خذوا هذا فاحبسوه، وإنْ أطلقتموه لأُخبرنَّ صاحب الشُّرطة عبد الله بن مالك، فحبسوه، وقال له رجلٌ منهم: إن هذا تعلَّق بالأمس بالقاضي سلمةَ الأحمر فادَّعى عليه بأربع مئة درهمٍ وأخذها، فقال: احتفظوا به. وأقام في الحبس مدَّة، فأرسل عبدُ الله صاحبُ الشرطة إلى شريكٍ يقول له: كم تحبس هذا الرَّجل؟ فقال: حتى يؤدِّيَ إلى سلمةَ أربع مئةِ درهم.فردَّها على سلمة، فجاء سلمةُ إلى شريكٍ يشكره، فقال له: يا ضعيف! كلُّ مَن سألك مالَك أعطيتَه إيَّاه؟!

عافيةُ بن يزيد

ابن قيس بن عافيةَ بن شدَّاد بن ثُمامة بن سَلَمة بن كعب بن أَوْد بن صَعْب بن سَعد العشيرة، الكوفيُّ، الأَودي[1].

كان من أصحاب أبي حنيفةَ الذين يجالسونه، وكان الذين يذاكرون أبا حنيفةَ جماعة، فإذا خاضوا في مسألةٍ وعافيةُ حاضر ووافقهم، أَمضَوها، وإنْ كان غائباً، يقول أبو حنيفة: لا ترفعوها حتى يحضرَ عافية، فإذا حضر فإنْ وافقهم أَثبتوها، وإنْ خالفهم يقول أبو حنيفة: لا تُثبتوها.

وقال ابن الأَعرابي: خاصم أبو دُلامَة رجلاً إلى عافيةَ في حكومة، فلم يتَّضح لعافيةَ فيها الحكم، فأقام سنةً يتأنَّى فيها، فقال أبو دُلامة: [من المتقارب]

لقد خاصَمَتْني دهاةُ الرِّجال ... وخاصمتُها سنةً وافيه
فما أدحض اللهُ لي حُجَّة ... وما غيَّب[2] اللهُ ليْ قافيه
ومَن خفتُ من جَوره في القضا ... فلستُ أخافك يا عافيه

وبلغ عافيةَ، فقال لأبي دلامة: هجوتَني لأشكونَّك إلى أمير المؤمنين، فقال له: لَئن شكوتني لَيعزلنَّك، قال: ولِم؟ قال: لأنَّك لا تعرف الهجوَ من المدح.

---

(١) في (خ): الأزدي، والمثبت من طبقات ابن سعد ٩/ ٣٣٣، وتاريخ بغداد ١٤/ ٢٥٤، والمنتظم ٩/ ٥١، وتهذيب الكمال، والسير ٧/ ٣٩٨.

(٢) في تاريخ بغداد، والمنتظم، وتهذيب الكمال: خيب.

وقال الأصمعيّ: كنت عند الرَّشيد، فرُفع إليه في عافية، فأُحضر، فجعل الرشيدُ يخاطبه ويوقفه على ما رُفع إليه، وطال المجلس، ثم إنَّ الرَّشيد عطس، فشمَّته مَن كان بالحضرة ممَّن قرب منه سواه، فقال له: ما بالُك لم تشمِّتني؟ فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنَّك لم تحمد الله، وذكر حديثَ النبيِّ ﷺ أنَّه عطس عنده رجلان فشمَّت أحدَهما ولم يشمِّت الآخرَ، فقال: يا رسولَ الله، ما بالُك شمَّتَّ ذلك ولم تشمِّتني؟ فقال: «إنَّه حمد الله فشمَّتناه، وأنت لم تحمدْه فلم أُشمِّتك»[1]. فقال له الرشيد: اِرجع إلى عملك، فأنت لم تسامِح في عطسةٍ، تسامحُ في غيرها؟ وصرفه مُنصَرفاً جميلاً، وزَبَر القومَ الذي كانوا رفعوا عليه.

استعفاؤه من القضاء:

كان يتقلَّد القضاء للمهدي، وكان عالماً زاهداً، فصار إلى المهديِّ في وقت الظُّهر وهو خالٍ، فاستأذن عليه، فأذن له، فدخل ومعه قِمَطْره[2]، فاستعفاه من القضاءِ واستأذن في تسليم القِمَطر إلى مَن يأمره، فظنَّ المهديُّ أن بعض الأولياء قد غضَّ منه وأضعف يدَه في الحكم، فسأله، فقال: ما جرى شيءٌ من ذلك، قال: فما سببُ استعفائك؟ فقال: تقدَّم إليَّ خصمان موسِران وجيهان منذ شهرين في قضيَّة مشكلة، وكلٌّ يدَّعي بيِّنةً وشهوداً، ويُدلي بحجَّة تحتاج إلى تأمُّل وتثبُّت، فرددتُ الخصوم رجاءَ أن يصطلحوا أو يعنَّ لي وجهُ فصلٍ ما بينهما، فوقف أحدُهما من خبري على أنِّي أحبُّ الرُّطَب بالسكَّر، فعمد في وقتنا ـ وهو أوَّلُ أوقات الرُّطب ـ إلى أن جمع لي رُطباً سكراً لا يتهيَّأ في وقتنا جمعُ مثلِه، ورشا بوَّابي بجملة دراهمَ على أن يُدخلَ الطبق إليّ، فلمَّا دخل بالطبق ووضعه بين يدي، أنكرتُ وسألت بوَّابي، فصدقني فطردتُه، وأمرت بردِّ الطبق، فلمَّا كان اليومُ تقدَّم إليَّ مع خصمه، فما تساويا في قلبي ولا في عيني، هذا يا أميرَ المؤمنين ولم أقبل، فكيف يكون حالي لو قبلتُ! وقد فسد الناس، ولا آمَن أن يقعَ عليَّ حيلةٌ في ديني فأهلك، فأَقِلْني أَقالك الله، فأَقاله.

ومات عافيةُ ببغدادَ، وكان ثقة.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٢١ و ٦٢٢٥) ومسلم (٢٩٩١) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) القمطر والقمطرة: ما يصان فيه الكتب. مختار الصحاح (قمطر).

سيبويه النَّحوي

واسمه عَمرو بن عثمانَ بن قنبر[١]، أبو بِشر البصري.

وكانت أمُّه ترقِّصه وهو صغير وتقول: سيب وَيْه، ومعناه: يا رائحةَ التفاح[٢]، وكان طيِّب الرائحة. وقيل: سمِّي بذلك لأنَّ وَجْنَتَيه كانتا كأنَّهما تفاحتان.

وهو مولى بني الحارث بنِ كعب، وقيل: لآل الربيعِ بن زياد الحارثي.

وكان يصحب المحدِّثين والفقهاء ويطلب الآثارَ في أوَّل زمانه، وكان يستملي على حمَّاد بن سلمة، فلحن في حرف، فعابه حماد، فأَنِف ولزم الخليلَ بن أحمد.

وكان من أهل فارسَ من البيضاء.

وقال نَصر بن عليّ: برز من أصحاب الخليلِ أربعة: سيبويه، والنَّضر بن شُمَيل، وعليُّ بن نصر، والمؤرِّج السَّدوسي.

وقال ابنُ عائشة: كنَّا نجلس مع سيبويه في المسجد، وكان شابّاً جميلاً نظيفاً، قد تعلَّق من كلِّ علم بسبب، وضرب في كلِّ أدب بسهم، مع حداثة سِنِّه، وبراعتِه في النحو وغيرِه، فتذاكرنا حديثَ قتادة، فذكر حديثاً غريباً وقال: لم يروِه إلَّا سعيدُ بن أبي العَروبة ـ بألفٍ ولام ـ قيل له: ما هذا؟ فقال: مَن قال: عَروبة، فقد أخطأ، لأنَّ العَروبة يومُ الجمعة. قال ابن سلام: فذكرت ذلك ليونُس، فقال: لله درُّه فلقد أصاب.

وقال السِّيرافي[٣]: أخذ سيبويه اللغاتِ عن أبي الخطَّاب الأخفشِ وغيره، وعمل كتابَه الذي لم يَسبقه أحدٌ إلى مثله ولا يلحق به مَن بعده، وكان كتابُه لشهرته عند النُّحاة عَلَماً، فكان يقال بالبصرة: قرأ فلانٌ الكتاب، فيُعلم أنَّه كتاب سيبويه. وكان المبرِّد إذا أراد مريدٌ أن يقرأ عليه كتابَ سيبويه يقول له: هل ركبتَ البحر؟ تعظيماً له واستصعاباً لما فيه.

---

(١) بضم القاف وفتح النون وباء ساكنة، كذا قيده الذهبي في المشتبه ٥٣٥، وابن حجر في تبصير المنتبه ٣/ ١١٣٨، والزبيدي في تاج العروس (قنبر ١٣/ ٤٧٨ طبعة الكويت).

(٢) كذا في (خ)، ولفظة "يا" هنا مقحمة، وهي ليست في المصادر، انظر تاريخ بغداد ١٤/ ١٠٠، والمنتظم ٩/ ٥٤، ومعجم الأدباء ١٦/ ١١٤، وتاريخ الإسلام ٤/ ٦٣٧، والسير ٨/ ٣٥٢، والبداية والنهاية ١٣/ ٦٠٧ (طبعة دار هجر).

(٣) في كتابه أخبار النحويين البصريين ص٣٩، ٣٧.

وقال أبو عبد الله المرزُباني: اجتمع أربعون نَفْساً حتى عملوا كتابَ سيبويه، هو أحدُهم، وهو أصولُ الخليل بن أحمدَ ونُكَته، وإنَّ سيبويه ادَّعاه لنفسه.

ولمَّا قدم بغدادَ ناظر الكسائيَّ وأصحابه، فلم يظهرْ عليهم، فسأل: مَن يرغب من الملوك في النَّحو؟ فقيل: طلحةُ بن طاهر، فشخص إلى خراسان، فلمَّا انتهى إلى ساوةَ مرض مرضَ الموت، فتمثَّل: [من المتقارب]

يؤمِّل دنيا لتبقى له ... فمات المؤمِّل قبل الأمَلْ
حَثيثاً يروِّي أصولَ الفَسيل ... فعاش [الفَسيل] ومات الرَّجُل

وتوفِّي بساوةَ وعمره اثنتان وثلاثون سنةً رحمه اللهُ تعالى.

مبارك بن سعيدِ بن مَشْروق

أخو سفيانَ الثَّوري، من الطبقة السادسةِ من أهل الكوفة، وتوفِّي بها، وكانت عنده أحاديث، وكُنْيته أبو عبد الرحمن.

ولد بالكوفة وسكن بغداد، وذهب بصرُه، فكتب إلى أخيه سفيانَ يشكو ذهابَ بصره، فكتب إليه سفيان: وقفتُ على كتابك، وإذا فيه شكايةُ ربِّك، فاذكر الموتَ يَهُن عليك ذلك، والسَّلام.

حدَّث عن أخيه سفيانَ وطبقته، وروى عنه الحسنُ بن عَرَفة وغيرُه، وكان ثقة.

وحكى عن الشَّعبي أنه قال: المودَّة بين كرام الناسِ مثلُ الكوز من الفضَّة، بطيءُ الانكسار سريعُ الانجبار، ومَثَلُ المودَّة بين لئام الناسِ مثلُ الكوز من الفخَّار، سريعُ الانكسار بطيءُ الانجبار[1].

هشامُ بن عبد الرَّحمن الداخلِ

ابن معاويةَ بن هشامِ بن عبد الملكِ بن مروان. واسم أمِّه حَوراء[2]، بربرية.

وَلِيَ في سنة اثنتين وسبعين ومئةٍ عند وفاة أبيه، وقام بالأندلس والياً سبعَ سنين

(١) تاريخ بغداد ١٥/ ٢٨٦ـ٢٩٠، وتهذيب الكمال، وتاريخ الإسلام ٤/ ٧٣١، والسير ٨/ ٤٨١.

(٢) في (خ): حوار، والمثبت من جذوة المقتبس ص١٠، والسير ٨/ ٢٥٣، وتاريخ الإسلام ٤/ ٧٦٠. وفي نفح الطيب ١/ ٣٣٤: اسمها حلل.

وتسعةَ أشهر، ومات في صفر بالأندلس وله تسعٌ وثلاثون سنة. وكان من أحسن الناسِ وجهاً وأشرفِهم نفساً، كاملَ المروءة، عاملاً بكتاب اللهِ وسنَّة رسوله ﷺ، متصدِّقاً ظاهراً وباطناً، عادلاً في الرعيَّة، رَحوماً حليماً صالحاً، يعود المرضَى ويشهد الجنائز. ثم ولي بعده ولدُه الحكم بنُ هشام[1].

(١) انظر العقد الفريد ٤/ ٤٩٠.